الفصل الثاني

طرائف ونوادر من كتب التراث

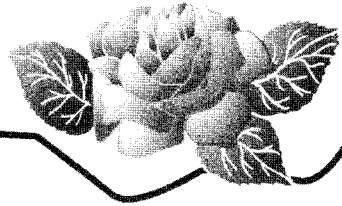

السفاح وخالد بن صفوان

ومن كتب التراث روي أنه دخل خالد بن صفوان (وهو أحد رواة الشعر المقربين للسفاح) على الخليفة أبي العباس السفّاح فوجده خالياً، فقال:

- يا أمير المؤمنين، إني أترقب من أن تقلدت الخلافة أن أجدك خالياً فألقي إليك ما أريده.

قال: فاذكر حاجتك.

قال: يا أمير المؤمنين، إني فكّرت في أمرك فلم أرَ من هو في مثل قدرك أقلُّ استمتاعاً بالنساء. وقد ملّكت على نفسك امرأة واحدة واقتصرت عليها، فإن مرضتْ مرضتَ، وإن غابتْ غبتَ، وإن غضبتْ حُرمتَ! وإنما التلذّذ باستطراف الجواري ومعرفة اختلاف أحوالهن، والاستمتاع بهن، فلو رأيت الطويلة البيضاء، والسمراء اللفّاء، والصفراء العجزاء، والغنجة الكحلاء، والمولّدات من المدنيات، والملاح من القندهاريات ذوات الألسن العذبة والقدود المهفهفة والثُديّ المحقّقة.

وجعل خالد بعذوبة لفظه واقتداره على الوصف يزيد في قوله. فلمّا فرغ من كلامه قال له السفّاح: والله يا خالد ما سلك سمعي قطّ كلام أحسن من هذا. لقد حرّك فيّ ساكناً.

وبقي السفّاح مفكراً عامة نهاره. ثم دخلت عليه زوجته أم سلمة، فلمّا رأته دائم الفكر، كثير السهو، قليل النشاط، قالت:

إني أُنكرك يا أمير المؤمنين، فهل حدث ما تكرهه؟

ولم تزل به حتى حدّثها بخبر خالد بن صفوان.

قالت: وما قلت لابن الفاعلة؟

قال لها: سبحان الله، رجل نصحني تسبّينه؟!

فخرجت من عنده متميّزة غضباً، وأرسلت إلى خالد بن صفوان بجماعة من غلمانها العجم ومعهم العصيّ، وأمرتهم ألا يتركوا فيه عضواً صحيحاً.

أما خالد فقد انصرف من عند السفّاح وهو على غاية السرور بما رأى الخليفة عليه من الإعجاب بحديثه، وقعد على باب داره يتوقع جائزته. فلم يشعر إلاّ بالغلمان، وتحقق مجيئهم بالجائزة. فلمّا وقفوا على رأسه سألوه عن ابن صفوان فقال: ها أنذا. فأفضى بعضهم بهرواته إليه. فوثب خالد ودخل داره وغلق بابه واستتر وعرف هفوته وزلّته في فعله وكلامه وعلم من أين أتى.

ثم إنه مكث أياماً مستتراً، فلم يشعر ذات يوم إلا بجماعة من خدم السفّاح قد هجموا عليه، فقالوا:

- أجب أمير المؤمنين!

فأيقن بالهلكة، وركب معهم وهو بلا دم، فلمّا دخل عليه وسلّم فردّ عليه، سكنت نفسه بعض السكون، وأومأ إليه بالجلوس فجلس.

ونظر خالد فإذا خلف ظهر السفّاح باب عليه ستور قد أرخيت وأحس بحركة خلفه.

ثم قال الخليفة: يا خالد، لم أرك منذ أيّام؟

فاعتل له، فقال له:

ويحك! إنك وصفت لي آخر يوم كنت عندي فيه أمر النساء والجواري ما لم يخرق سمعي قطّ مثله، فأعده عليّ.

قال: نعم، أعلمتك يا أمير المؤمنين أن العرب اشتقّت اسم الضرّتين من الضرّ، وإن أحدهم لم يكن عنده من النساء أكثر من واحدة إلاّ كان في جهد وكد!

قال السفّاح: ويحك! لم يكن هذا في كلامك!

قال: بلى، وأخبرتك أن الثلاث من النساء كأثافيّ القدر تغلي عليهن!

قال السفّاح: برئت من قرابتي من الرسول ﷺ إن كنت سمعت هذا منك في حديث.

قال: بلى، وأخبرتك أن الأربع من النساء شرّ مجموع لمن كنّ عنده، يُهرمنه ويُنغّصن عليه عيشه، ويُشبنه قبل حينه.

قال السفّاح: والله ما سمعت هذا قط منك ولا من غيرك.

قال: بلى يا أمير المؤمنين، لقد قُلت.

قال: ويلك! تكذبني؟

قال: يا أمير المؤمنين فتريد قتلي؟

فسُمع ضحك شديد وراء الستر، فقال خالد:

وأعلمتك أن عندك ريحانة قريش، وأنه لا يجب أن تطمح نفسك إلى غيرها من النساء.

فسُمع من وراء الستر صوت يقول:

صدقت والله يا عمّاه، ولكن أمير المؤمنين غيّر وبدّل، ونطق عن لسانك بغير ما ذكرته.

وخرج خالد إلى منزله، فلم يصل إليه حتّى وجّهت إليه أم سلمة ثلاثة تُخوت فيها أنواع الثّياب، وخمسة آلاف درهم.

❀ ❀ ❀

الشعر والجارتان

قال أحدهم: تزوّج رجل امرأة حديثة على امرأة قديمة، فكانت جارية الحديثة تمر على باب القديمة فتقول:

وما تستوي الرجلان رجل صحيحة

ورجل رمى فيها الزمان فشُلّت

ثم تعود فتقول:

وما يستوي الثوبان ثوب به البلى

وثوب بأيدي البائعين جديد

فمرّت جارية القديمة على الحديثة فأنشدت:

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى

ما الحب إلا للحبيب الأول

كم منزل في الأرض يألفه الفتى

وحنينه أبداً لأول منزل

❀ ❀ ❀

ملكة تقتل زوجها بالقبقاب

الملكة شجرة الدر زوجة الصالح نجم الدين تزوجت بعد وفاته من الأمير عز الدين، فقامت بقتله في الحمام بسبب غيرتها من ضرتها التي قتلتها بدورها بالقباقيب انتقاماً لزوجها.

❀ ❀ ❀

الضرائر

قيل لرجل من العرب كان يجمع الضرائر: كيف تقدر على جمعهن؟

قال: كان لنا شباب يصابرهن علينا، ثم كان لنا مال يصبرهن لنا، فلما ذهب الشباب والمال بقي لنا خلق حسن فنحن نتعاشر به ونتعايش.

❀ ❀ ❀

تعدد الزوجات

سئل المغيرة بن شعبة عن تعدد الزوجات فقال:

صاحب المرأة الواحدة عليل، إذا مرضت مرض معها، وإن حاضت حاض معها، وإن صامت صام معها، أما صاحب الاثنتين

فهو بين جمرتين، أيتهما أدركته أحرقته. وصاحب الثلاث يبيت كل ليلة في قرية، وصاحب الأربع عريس كل ليلة.

❀ ❀ ❀

رضا الأزواج

قالت أعرابية لضرة كانت لها من بني خناج، وخناج قبيلة عربية:

لا تكثـــــري أخت بـني خـناج
وأقـصري من بعض ذي الضجـاج
فـــقـــد أقـــمناك على المنهـــاج
أتيـــتـــه بمثل حق العـــاج
مـــضـــمخ زين بـانتـــفـــاج
بمثـله نـيل رضـــــا الأزواج

❀ ❀ ❀

زوجوني امرأتين

كان أبوالعيناء رجلاً عنينا[1] وكان يتجلد ويقول لقومه: (زوجوني امرأتين)، فقالوا له: إن في واحدة كفاية. قال: أما لي فلا، فقالوا: نزوجك واحدة فإن كفتك وإلا نزوجك أخرى، فزوجوه أعرابية، فلما دخل بها أقام معها أسبوعاً، فلما كان في

(١) العنين: الذي لا يأتي النساء لعجز فيه.

اليوم السابع أتوه فقالوا له: ما كان من أمرك في اليوم الأول؟ قال: عظيم جداً، قالوا: ففي اليوم الثالث؟ قال: لا تسألوني، فأنشدت امرأته من وراء الستر فقالت:

كأن أبو البيداء ينزو[١] في الوهق[٢]

حتى اذا أدخل في بيت أبق[٣]

فيه غزال حسن الدل خرق[٤]

مارسه حتى إذا انفض العرق

انكسر المفتاح وانسد الغلق

❀ ❀ ❀

أمرك بيدك

قال الحسن بن علي رضي الله عنهما (وكان مزواجاً مطلاقاً) لامرأته عائشة بنت طلحة: أمرك بيدك، فقالت: قد كان بيدك عشرين سنة فأحسنت حفظه فلا أضيعه إذ صار بيدي ساعة واحدة وقد صرفته إليك.

فأعجبه ذلك منها وأمسكها.

❀ ❀ ❀

---

(١) ينزو: يثب.
(٢) الوهق: الحبل يجر به الإنسان الدابة.
(٣) أبق: هرب.
(٤) خرق: فيه خجل.

رجل يطلق خمس نسوة في يوم واحد

طلق رجل من العرب في يوم واحد خمس نسوة؟. كيف حدث ذلك بينما لا يجوز للرجل أن يتزوج بأكثر من أربع؟.

فعن عبد الرحمن بن محمد ابن أخ الأصمعي قال: قال عمي للرشيد في بعض أحاديثه: يا أمير المؤمنين، كان رجلاً متزوجاً بأربع فدخل عليهن يوماً فوجدهن متنازعات وكان شريراً، فقال: إلى متى هذا النزاع؟ وما أظن إلا هذا من قبلك يا فلانة (لامرأة منهن) اذهبي فأنت طالق. فقالت له صاحبتها: عجلت عليها بالطلاق ولو أدبتها بغير ذلك لكان أصلح، فقال لها: وأنت أيضاً طالق. فقالت له الثالثة: قبحك الله، فو الله لقد كانتا إليك محسنتين. فقال لها: وأنت أيضاً أيتها المعددة أياديهما طالق. فقالت الرابعة: ضاق صدرك إلا أن تؤدب نساءك بالطلاق؟ فقال لها: وأنت طالق أيضاً، فسمعته جارة له فأشرفت عليه وقالت له: والله ما شهدت العرب عليك ولا على قومك بالضعف إلا لما بلوه منكم ووجدوه فيكم، أبيت إلا طلاق نسائك في ساعة واحدة، فقال لها: وأنت أيتها المتكلمة فيما لا يعنيك طالق إن أجازني بعلك، فأجابه زوجها قد أجزت لك ذلك. وعجب الرشيد من ذلك أشد العجب.

❀ ❀ ❀

مل زوجتيه

قدم أعرابي فحلف بطلاق امرأتيه على شيء فحنث ثم هرب فقال:

لو يعلم الغرماء منزلتيهما

ما خوفوني بالطلاق العاجل

قد ملتا وملت من وجهيهما

عجفاء مرضعة وأخرى حامل[1]

❀ ❀ ❀

تزوج أربعاً

دخل أعرابي على الحجاج فسمعه يقول:

- «لا تكمل النعمة على المرء حتى ينكح أربع نسوة يجتمعن عنده»، فانصرف الأعرابي فباع متاع بيته وتزوج أربع نسوة، فلم توافقه منهن واحدة، خرجت واحدة حمقاء رعناء، والثانية متبرجة، والثالثة فارك أو قال فروك[2]، والرابعة مذكرة، فدخل على الحجاج فقال:

- أصلح الله الأمير سمعت منك كلاماً أردت أن تتم لي به قرة عين، فبعت جميع ما أملك حتى تزوجت أربع نسوة فلم توافقني منهن واحدة، وقد قلت فيهن شعراً فاسمع مني، قال الحجاج: قل، فقال:

---

(١) العجفاء: الهزيلة.

(٢) الفروك: التي يبغضها الرجال.

تـزوجت أبغي قــرة العين أربعــاً

فـــيـــاليت أنـي لم أكن أتـزوج

ويـاليـتني أعــمى أصم ولم أكن

تزوجت بل ياليت أني مـخـدج[١]

فـواحـدة مـا تعــرف الله ربهـا

ولا ما التقى تدري ولا ما التخرج

وثانيـة مـا إن تقـر ببـيـتـهـا

مـذكـرة مـشـهـورة تتـبـرج

وثالثـة حـمـقـاء رعنا سـخـيـفـة

فكل الذي تـأتي مـن الأمـر أعـوج

ورابعـة مـفـروكـة ذات شـرة

فليست بها نفسي مدى الدهر تبهج

فـــهـن طـلاق كـلـهـن بـوائـن

ثلاثاً ثلاثاً فاشهـدوا لا تلجلجوا

فضحك الحجاج حتى كاد يسقط من سريره ثم قال: كم مهورهن؟ قال: أربعة آلاف درهم فأمر له بثمانية آلاف درهم.

❀ ❀ ❀

(١) مخدج: ناقص الخلق.

الأعرابي ونساؤه

تزوج أعرابي بأربع نساء، وأراد أن يختبر عقولهن، فبات عند إحداهن وقال:

- إذا دنا الصبح فأيقظيني، فلما دنا الصبح قالت له:

- قم فقد دنا الصبح.

فقال:

- وما يدريك؟

قالت:

- غارت صغار النجوم، وبقي أحسنها وأضوؤها، وأكبرها، وبرد الحلي على جسدي، واستلذذت باستنشاق النسيم. فقال لها: إن في ذلك دليلاً.

ثم بات عند الثانية فقال لها كما قال للأولى، فلما دنا الصبح أيقظته، فقال لها:

وما يدريك أن الصبح قد دنا؟

قالت:

- ضحكت السماء من جوانبها، ولم تبق نابتة إلا وفاحت روائحها، وعيني تطالبني بإغفاءة الصباح.

فقال:

- إن في ذلك دليلاً.

ثم إنه بات عند الثالثة وأوصاها كما فعل بالسابقتين، فلما دنا الصبح أيقظته فقال لها:

- وما يدريك أن الصبح دنا؟ فقالت له:

- لم يبق طائر إلا غرد، ولا ملبوس إلا برد، وقد صار للطرف في الليل مجال، فإن ذلك من دنو الصباح، فقال لها: إن في ذلك دليلاً.

ثم بات عند الرابعة فقال لها مثل ذلك لإيقاظه، فلما دنا الصبح أيقظته فقال:

- وما يدريك إن الصبح دنا؟ فقالت:

- أبت نفسي النوم، وطلبني فمي للسواك، واحتجت إلى الوضوء. فقال لها: أنت طالق، فإنك أقبحهن وصفاً.

❀ ❀ ❀

من ذكائهن

كان لرجل زوجتان، كل منهما في بلد، فاحتالت الثانية بأن كتبت له رسالة مفادها أن زوجته الأخرى في البلد الثاني قد ماتت، وجعلت الرسالة بإمضاء صاحب له في بلد الزوجة الأولى، فلما علم قرر السفر إلى حيث كانت، فاعترضته زوجته قائلة:

- إلى أين؟ فقال:

- إلى بلدة حيث لي بها تجارة.

- أو علي أنا؟ إن لك بها زوجة أخرى وأنت ذاهب إليها.

فـفكر الرجل وقـال في نفسـه بما أن تلك الزوجـة انتقلت إلى رحمة الله فما علي، وأجابها قائلاً:

- إن كان لي زوجة غيرك فهي طالق ثلاثاً.

فـأخبـرته زوجتـه بالحـيلة وأن الزوجـة الأولى لا تحل. وهكذا طلقت منه.

❀ ❀ ❀

صاحبة الدينار

كان لرجل زوجتان، وقد ألحتا عليه أن يخبرهما أيهما أغلى عنده من الأخرى، وذهب لأحد أصدقائه وشكى له الحال، فقال له: أعط كل واحدة منهن ديناراً وقل لها أن تصلح به شأنها ولا تخبر الأخرى، ثم ادعني إلى بيتك وسأسلك من منهن المحضية لديك وأغلاهن عندك، وأجعلهن قريبات لكي يسمعن الإجابة ثم أجبني بأنها صاحبة الدينار، وقد فعل واستراح.

❀ ❀ ❀

وصايا الأمهات

بعث النعمان بن امرؤ القيس بن عمرو بن عدي بن النضر إلى نسوة من العرب منهن فاطمة بنت الخرشب، وهي من بني أنمار بن بغيض، وهي أم الربيع بن زياد وإخوته، وإلى قيلة بن الحسحاس الأسدية، وهي

أم خالد بن صخر بن الشريد، وإلى تماضر بنت الشريد، وهي أم قيس بن زهير وإخوته كلهم، وإلى الرواع النمرية وهي أم يزيد بن الصّعق، فلما اجتمعن عنده قال: إني قد أخبرت بكن وأردت أن أنكح إليكن[١] فأخبرنني عن بناتكن؟!

فقالت فاطمة:

- عندي الفتخاء[٢] العجزاء[٣] أصفى من الماء وأرق من الهواء وأحسن من السماء.

وقالت تماضر:

- عندي منتهى الوُصّاف، دفيّة اللحاف، قليلة الخلاف.

وقالت الرواع: عندي الحلوة الجهمة[٤]، لم تلدها أمة.

وقالت قيلة:

- عندي ما يجمع صفاتهن، وفي ابنتي ما ليس في بناتهن، فتزوّج إليهن جميعاً.

فلمّا أهدين إليه، دخل على ابنة الأنماريّة، فقال: ما أوصتك به أمك؟ قالت: قالت لي: عطّري جلدك، وأطيعي زوجك، واجعلي الماء آخر طيبك.

ثم دخل على ابنة السّلمية، فقال: ما أوصتك به أمك؟

---

(١) أنكح إليكن: أخطب بناتكن لنفسي.

(٢) الفتخاء: من ارتفعت أخلافها قبل بطنها.

(٣) العجزاء: الكبيرة العجز وهو مؤخر المرأة.

(٤) الجهمة: الضخمة.

فقالت:

- قالت لي: لا تجلسي بالفناء، ولا تكثري من المراء[١]، واعلمي أن أطيب الطيب الماء.

ثم دخل على ابنة النمرية، فقال:

- ما أوصتك به أمك؟

فقالت:

- قالت لي: لا تطاوعي زوجك فتمليه، ولا تعاصيه فتشكيه[٢]، واصدقيه الصِّفاء، واجعلي آخر طيبك الماء.

ثم دخل على ابنة الأسديّة، فقال:

- ما أوصتك به أمك؟

فقالت:

- قالت لي: أدني سترك، وأكرمي زوجك، واجتنبي الإباء، واستنظفي بالماء.

❀ ❀ ❀

الشيخ وزوجاته الأربع

قال الأصمعي: كان شيخ من بني سعد باليمامة ذا مال، فجَمع بين أربع نسوة، وكان تفلاً مفركاً ففركنه[٣] جميعاً، وأصلح بينهن بغضه، فرصدهنَّ ذات ليلة وهن يتحدثنّ ويذكرنه:

---

(١) المراء: الجدل والشك.
(٢) تشكيه: تغضبيه.
(٣) فركنه: أبغضه.

فقالت إحداهن:

قلن جميعاً في فنون عيبه

وغيبه لا مأثم في غيبه

وقالت الثانية:

أقمر[١] عيني ببياض شيبه

وشفّ[٢] جسمي طويل شم جيبه[٣]

وقالت الثالثة:

اللؤم والخيبة حشو ثوبه

فبي فحل الموت صبحاً أو به.

وقالت الرابعة:

ياليت ما ينالني من سيبه[٤]

تطليقة تخرج من قليبه.

فأصبح فطلّقهن جميعاً.

❀ ❀ ❀

ضرتان تتهاجيان

تهاجت امرأتان من العرب كانتا عند رجل، سمينة ومهزولة.

فقالت المهزولة:

---

(١) أقمر: تحير بصره.
(٢) شف: نحل.
(٣) جيبه: طوق قميصه.
(٤) سيبه: عطاؤه.

- تزحزحي عنّي يا مرونة، إنّ البراذين إذا جرينه من الجياد ساعة أعييْنه.

قالت السمينة:

- يا بنت مهراس قفي أقول لك ما أقبح الوجه وما أذلك، فلو ركبت جندباً[١] أقلّك، ولو أردت ظلّه أظلك.

❀ ❀ ❀

نشوز المرأتين

نشزت[٢] أم الصريح بنت أوس وأُختها أم إياس وهما من كندة التي في بني كليب بن يربوع على أبي الصريح الكلبي، فقالت:

كأن الدار يوم تكون فيها
علينا حفرة مُلئت دخانا
فليتك في سفينِ بني عباد
طريداً لا نراك ولا ترانا
وليتك غائباً بالهند عنّا
وليت لنا صديقاً فاقتنانا
ولو أن النذور تكف منه
لقد أهديتها مايةً هجانا

(١) جندباً: جرادة.
(٢) نشزت: استعصت على زوجها وأبغضته.

وقالت أمُّ الصريح وكانت هي وأم إياس أختها عند أخوين من بني كليب، وكانت الحلال الكلبيّة ضرّة لأم إياس فكانت تفاخرها.

فقالت أم الصريح غيرة لأختها أم إياس:

- ألا أربعي[١] يا بنت أم قيس، أتعدّين محصناً بأوس، والخطفى بالأشعث بن قيس، ما ذاك بالعدل ولا بالكيس[٢]؟

فردّت عليها الحلال:

- إذا كليب زخرت[٣] في الظمّ ركبت في عرنينها[٤] الأشمّ، مالكِ من خال ولا ابن عم غير هذين، فاصبري للذمّ واعترفي بالرّفقة الأصم[٥] رفقة ذي شقاشق[٦] هلقم[٧].

❀ ❀ ❀

وفاء ضرة لزوجها

حجّت أم حبيب بنت عبدالله بن الأهتم أو بنت عمرة بن الأهتم فبعث إليها الحسن بن عليّ بن أبي طالب - رضي الله عنهما - فخطبها فقالت:

---

(١) أربعى: احبسي فخرك.
(٢) الكيس: العقل.
(٣) زخر القوم: جاشوا في الحرب..... زخر الرجل: فخر.
(٤) العرنين الأشم: أي الأنف المرتفع عزة، كناية عن شرفهم وأنفتهم.
(٥) الأصم: الرجل الذي لا يطمع فيه ولا يرد عن هواه.
(٦) الشقاشق: جمع شقشقة، وهو ما يخرجه البعير من فمه إذا هاج.
(٧) الهلقم: الواسع الأشداق، تريد من هذا الوصف الإشارة إلى قوة نطقه وفصاحته.

- إني لم آت هذا البلد للتزويج وإنما جئت لزيارة هذا البيت، فإذا قدمت بلدي وكانت لك حاجة فشأنك، قال: فازداد فيها رغبة، فلمّا صارت إلى البصرة أرسل إليها فخطبها، فقال إخوتها:
- إنها امرأة لا يفتات[١] على مثلها برأي، وأتوها فأخبروها الخبر، فقالت:
- إن تزوجني على حكمي أجبته فأدوا ذلك إليه، فقال:
- امرأة من تميم أتزوجها على حُكمها، ثم قال: وما عسى أن يبلغ حكمها لها؟ قال:
- فأعطاها ذلك، فقالت:
- قد حكمت صداق أزواج النبي ﷺ وبناته اثنا عشر أوقيّة، فتزوّجها على ذلك وأهداها مائة ألف درهم، فجاءت إليه فبنى بها في ليلة قائظة على سطح لا حظار[٢] عليه، فلمَّا غلبته عينه أخذت خمارها[٣] فشدّته في رجله وشدّت الطرف الآخرى في رجلها، فلمَّا انتبه من نومه رأى الخمار في رجله، فقال:
- ما هذا؟ قالت:
- إنا على سطح لا حظار عليه ومعي في الدّار ضرائر ولم آمن عليك وسن النوم[٤] ففعلت هذا؛ لأنك إذا تحرّكتَ تحرّكتُ

---

(١) لا يفتات: لا يعمل لشأنها دون أمرها. (٢) الحظار: الحائط. الجدار المحيط بالسطح.
(٣) الخمار: كل ما ستر شيئاً. (٤) وسن النوم: أي شدّته.

معك، فازداد بها رغبة وبها عجباً، ثم لم يلبث أن مات عنها- فكلّموها في الصّلح عن ميراثه، فقالت:

- ما كنت لآخذ له ميراثاً أبداً وخرجت إلى البصرة، فبعث إليها نفرٌ يخطبونها، منهم: يزيد بن معاوية، وعبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبد الرحمن بن عامر، فأتاها إخوتها، فقالوا لها:

- هذا ابن أمير المؤمنين، وهذا ابن عمّة رسول الله ﷺ، وهذا ابن حواريه، وهذا ابن عامر أمير البصرة، اختاري من شئت منهم، فردّتهم جميعاً، وقالت:

- ما كنت لأتخذ حموماً[1] بعد ابن بنت رسول الله ﷺ.

❀ ❀ ❀

عبد الملك وعاتكة

تزوّج الوليد بن عبدالملك في خلافته التي دامت تسع سنين، تزوج ثلاثاً وستين امرأة، يطلّق ويتزوّج حتى تزوّج عاتكة بنت عبدالله بن مطيع، فلمّا دخل بها وأراد أن يقوم أخذت بثوبه، فقال لها: ما تريدين؟

فقالت: إنّا اشترطنا على الحمّالين الرّجعة فما رأيك؟

قال: تقيمين، وأمسكها أربعة أشهر ثم طلّقها.

❀ ❀ ❀

(١) حمو المرأة: أقارب زوجها.

سوء خلق

كان في قريش رجل في خلقه سوء، يده سماح، وكان ذا مال، فكان لا يكاد يتزّوج امرأة إلا فارقها لسوء خلقه وقلّة احتمالها، فخطب امرأة من قريش جليلة القدر وبلغها عنه سوء خلقه، فلمّا انقطع ما بينهما من المهر، قال لها:

- يا هذه إن فيّ سوء خلق يعود إلى احتمال وتكرّم، فإن كان بكِ علي صبر وإلا فلست أغرك مني.

قالت له:

- إن أسوأ خلقاً منك لمن يحوجك إلى سوء الخلق وتزوّجته، فما جرى بينهما كلمة حتّى فرّق بينهما الموت.

❀ ❀ ❀

تميز أم المؤمنين عائشة

قالت عائشة رضي الله عنها للنبي ﷺ حين دخلَ عليها: أين كنت يا رسول الله؟ قال: كنت عند أم سلمة، قالت: أما تشبع؟ فتبسّم، وقالت: يا رسول الله، لو مررت بقدوتين[1]، إحداهما عافية[2] لم يرعها أحد وأخرى قد رعاها الناس أيهما كنت تنزل؟ فقال: بالعافية التي لم يرعها الناس. قالت: فلست كأحدٍ من نسائك.

❀ ❀ ❀

(١) قدوتين: مثنى قدوة، وهي الأصل تتشعّب منه الفروع.
(٢) عافية: تامة.

كل ضرة تصف نفسها

قال الأصمعي: كان أعرابي عنده أربع نسوة: كندية، وغسّانية، وشيبانيّة، وغنوية، والأعرابي غسّاني، وكن متظاهرات على الغنوية، فجمع بينهن حتى تشاتمن، ثم قال: لتقل كل واحدة منكن قولاً تصف به نفسها.

فقالت الكندية:

كأني جنى النحل والزّنجبيل

وصفوة المدامة والسلسبيل

يزين سنا الوجه لي مبسم

كمثل اللآلي وعين كحيل

وقالت الغسّانية:

برانى إلهي إله السماء

نصفاً قضيباً ونصفاً كثيبا

وألبسني ما يسوء الحسود

جمالاً وملحاً[1] وحسناً عجيباً

وقالت الشيبانية:

أفوق النساء إذا ما اجتمعن

كبدر السماء نجوم الدجى[2]

---

(١) المِلح: الملاحة والسمن.

(٢) كبدر السماء نجوم الدجى: أي كما يفوق البدر النجوم.

ويقصر عنّي جميع الصفات

فمن نالني نال فوق المنى

وقالت الغنوية:

تزود بعينك من بهجتي

فقد خلق الله مني الجمالا

إذا ما تفرست في رؤيتي

رأيت هلالا وأحوى[1] غزالا

❀ ❀ ❀

غارت أمكم

من كتاب تحفة العروس:

عن أنس رضي الله عنه قال: أهدى بعض نساء النبي ﷺ له قصعة فيها ثريد وهو في بيت بعض نسائه، فضربت عائشة يد الخادم فانكسرت القصعة، فجعل النبي ﷺ يأخذ الثريد ويرده في فلق القصعة ويقول: كلوا غارت أمكم. ثم حبس الخادم حتى أتى بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة إلى التي كسرت صحفتها.

❀ ❀ ❀

(١) الأحوى: من حوه، وهي سمرة في الشفة.

أغرت؟

ومن المصدر السابق نفسه قال: سأل رسول الله ﷺ عائشة رضي الله عنها يوماً: أغرت؟ فتجيب: وما لي ألا يغار مثلي على مثلك.

وفيه أيضاً لما قدم رسول الله صلى الله وسلم عليه المدينة بصفية رضي الله عنها وقد اتخذها لنفسه زوجة، قالت عائشة رضي الله عنها: تنكرت وخرجت أنظر فعرفني ﷺ، فأقبل إلي، فانقلبت، فأسرع المشي فأدركني، فاحتضنني وقال: كيف رأيتيها؟

قلت: يهودية بنت يهودية، تعني السبي. رواه ابن ماجة.

ومن نماذج من غيرة أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها ورد في المرجع السابق (تحفة العروس للاستانبولي)، أن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا خرج أقرع بين نسائه، فطارت القرعة على عائشة وحفصة، فخرجتا معه جميعاً، وكان رسول الله ﷺ إذا كان بالليل سار مع عائشة يتحدث معها.

فقالت حفصة لعائشة: ألا تركبين الليلة بعيري وأركب بعيرك، فتنظرين وأنظر.

قالت: بلى، فركبت عائشة على بعير حفصة وركبت حفصة على بعير عائشة.

فجاء رسول الله ﷺ إلى جمل عائشة وعليه حفصة، فسلم، ثم سار معها حتى نزلوا، فافتقدته عائشة، فغارت.

فلما نزلوا جعلت تجعل رجلها في الإذخر وتقول:

- يا رب سلِّط علي عقرباً أو حية تلدغني، رسولك، ولا أستطيع أن أقول شيئاً.

ومنها كذلك ما ورد في كتب متعددة اخترت كتاب - قبسات من حياة الرسول - لأحمد محمد عساف أن عائشة رضي الله عنها قالت:

- دخل علي رسول الله ﷺ فوضع عنه ثوبيه ثم لم يستقم (لم يمكث طويلاً) أن قام فلبسهما فأخذتني غيرة شديدة، ظننت أنه يأتي بعض صويحباتي، فخرجت أتبعه فأدركته بالبقيع، بقيع الغرقد، يستغفر للمؤمنين والمؤمنات والشهداء فقالت: بأبي وأمي أنت يا رسول الله في حاجة ربك وأنا في حاجة الدنيا، فانصرفت فدخلت حجرتي ولي نفس عال، ولحقني رسول الله ﷺ فقال:

«ما هذا النفس يا عائشة؟ فقلت:

- بأبي أنت وأمي أتيتني فوضعت عنك ثوبيك ثم لم تستقم أن قمت فلبستهما، فأخذتني غيرة شديدة ظننت أنك تأتي بعض صويحباتي حتى رأيتك في البقيع تصنع ما تصنع.

فقال ﷺ: «يا عائشة، أكنت تخافين أن يحيف الله عليك ورسوله؟ أتاني جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعر غنم بني كلب، لا

ينظر الله فيها إلى مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مسيء، ولا إلى عاق لوالديه، ولا إلى مدمن خمر».

ثم وضع عنه ثوبيه فقال لي:

- يا عائشة أتأذنين لي في قيام هذه الليلة؟ قلت:

- نعم بأبي أنت وأمي، فقام فسجد طويلاً حتى ظننت أنه قد قبض، فقمت ألتمسه؛ ووضعت يدي على باطن قدميه فتحرك، ففرحت وسمعته يقول في سجوده: «اللهم أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بك منك جل نفسك. لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك». فلما أصبح ذكرتهن له فقال:

- يا عائشة تعلمين؟ قلت: نعم، فقال صلوات الله وسلامه عليه: «تعلميهن وعلميهن فإن جبريل عليه السلام علمنيهن وأمرني أن أرددهن في السجود».

❀ ❀ ❀

آراء الشعراء

يقول المعري:

إذا كنت ذا ثنتين فاغد ما حربا

عدوين واحذر من ثلاث ضرائر

وإن هن أبدين المودة والرضا

فكم من حقود غيبت في السرائر

ويقول أيضاً:

تزوج بعـــد واحـــدة ثلاثاً

وقـــال لعـــرســـه يكفـــيك ربعي

فـــيـــرضـــيـــهـــا إذا قنعت بقـــوت

ويـرجـــمـــهـــا اذا مـــالت لتـــبـع

ومـن جـــمع اثنتين فـــمـــا توخى

ســـبـــيل الحق في خـــمس وربـع

والشاعر المعري لم يتزوج في حياته وهو الذي يقول:

هذا جناه أبي علي وما جنيت على أحد

ومن شعر ابن الأعرابي:

خـــبَّـــروها بأني قـــد تزوجت

فظلـت تكاتم الغـــيظ ســـرا

ثم قـــالت لأخـــتـــهـــا ولأخـــرى

جـــزعـــاً ليـــتـــه تزوج عـــشـــرا

وأشـــارت إلى نســـاء لديهـــا

لا ترى دونهن للســـر ســـتـــرا

مـــا لقلبي كـــأنه ليس مني

وعظامي كـــأن فـــيـــهـن فـــتـــرا

مـن حـــديث نمى إلي فظيع

خلت في القلب من تلظيه جمرا

الزواج بالأجنبيات

من كتاب (أخبار عمر) لعلي وناجي الطنطاوي:

لما كانت القادسية، ولم يجد الناس نساء مسلمات، تزوجوا نساء أهل الكتاب، فلما كثر المسلمات بعث عمر بن الخطاب إلى حذيفة بن اليمان بعد ما ولاه المدائن: بلغني أنك تزوجت امرأة من أهل المدائن من أهل الكتاب فطلقها. فكتب إليه: لا أفعل حتى تخبرني أحلال أم حرام؟ وما أردت بذلك؟ فكتب له: لا، بل حلال، ولكن في نساء الأعاجم خلابة، فإن أقبلتم عليهن غلبنكم على نسائكم. فقال حذيفة: الآن. فطلقها.

❀ ❀ ❀

المهدي والخيزران

قيل: إن المهدي قال للخيزران: أريد أن أتزوج فقالت له:

- لا يحل لك أن تتزوج علي، قال: بلى. قالت: بيني وبينك من شئت. قال:

- أترضين سفيان الثوري؟ قالت: نعم. فوجه إلى سفيان الثوري فقال: -إن أم الرشيد تزعم أنه لا يحل لي أن أتزوج عليها، وقد قال الله عز وجل: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾. ثم سكت. فقال الثوري:

- لا يحل لك. قال المهدي:

- ولم؟ قال الثوري:

- أتم الآية. يريد الآية: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ وأنت لا تعدل. فأمر له بعشرة آلاف درهم، فأبى أن يأخذها.

❀ ❀ ❀

لولا الزوجة الأولى

قال الحكم بن صخر الثقفي: خرجت منفرداً فرأيت بإمَرة[١] - وهي موضع - جاريتين أختين لم أر كجمالها وظرفهما فكسوتهما وأحسنت إليهما. قال: ثم حججت من قابل[٢] ومعي أهلي وقد اعتللت ونصل خضابي[٣] فلما صرت بإمَرة إذا إحداهما قد جاءت فسألت سؤالاً منكرة قال: فقلت:

- فلانة؟ قالت:

- فدى لك أبي وأمي وأنى تعرفني وأنكرك؟ قال: قلت:

- الحكم بن صخر، قالت: فدى لك أبي وأمي، رأيتك عام أول شاباً سوقة[٤] وأراك العام شيخاً ملكاً وفي دون هذا ما تنكر المرأة صاحبها فذهبت مثلاً. قال: قلت: ما فعلت أختك؟ فتنفست الصعداء[٥] وقالت:

---

(١) إمرة: اسم موضع في طريق مكة من البصرة.
(٢) عام قابل: عام قادم.
(٣) نصل خضابي: أي تغير لوني.
(٤) سوقة: واحد من الناس.
(٥) تنفست الصعداء: تنفست نفساً طويلاً من هم أو تعب.

- قدم عليها ابن عم لها فتزوجها وخرج بها فذاك حيث تقول:

إذا مـا قـفلنا نحـو نجـد وأهله

فحسبي من الدنيا قفولي إلى نجد

قال: قلت:

- أما إني لو أدركتها لتزوجتها قالت:

- فدى لك أبي وأمي ما يمنعك من شريكتها في حسبها وجمالها وشقيقتها؟ قال قلت:

- يمنعني من ذلك قول كثير:

إذا وصلتنا خلة[١] كي تزيلهـا

أبينا، وقلنا: الحـاجـبـيـة أول

فقالت:

- كثير[٢] بيني وبينك أليس الذي يقول:

هل وصل عـزة إلا وصل غـانيـة

في وصل غـانية من وصلهـا خلف

قال الحكم: فتركت جوابها وما يمنعني من ذلك إلا العي[٣].

❀ ❀ ❀

---

(١) الخلة: الخليلة الزوجة.

(٢) كثير: هو كثير عزة الخزاعي: شاعر متيم مشهور من أهل المدينة أخباره مع عزة بنت جميل الضمرية كثيرة.

(٣) العي: العجز.

الحب يذهب بالحب

حدَّث واحد من بني أمية قال: خرجت إلى الشام، فلما كنت بالشراة[١] ودنا الليل إذا قصر فهويت إليه، فإذا بين باب القصر امرأة لم أر مثلها قط هيبة وجمالاً فسلمت عليها فردت ثم قالت:

- من أنت؟ قلت:

- رجل من بني أمية من أهل الحجاز. فقالت:

- مرحباً بك وحياك الله. انزل فأنت في أهلك. قلت:

- ومن أنت؟ عافاك الله. قالت:

- امرأة من قومك.

فأمرت لي بمنزل وقرى[٢] وبت في خير مبيت. فقلت:

- والله ما رأيت أكرم منك ولا أشرف من أعمالك. قالت:

- لي إليك حاجة تمضي حتى تأتي ذلك الدير - ديراً أشارت إليه - فتجيء فائت ابن عمي فيه وهو زوجي وقد غلبت عليه نصرانية في ذلك الدير فهجرني فلزمها فتنظر إليه فتخبره عن مبيتك وعما قلت لك. فقلت:

- أفعل ونعمى عين.

فخرجت حتى انتهيت إلى الدير، فإذا أنا برجل في فنائه جالس كأجمل ما يكون من الفتيان، فسلمت. فرد وساءلني فأخبرته من أنا وأين بت وما قالت لي المرأة. فقال:

---

(١) الشراة: إقليم في بلاد الشام بين دمشق ومدينة الرسول ﷺ.

(٢) قرى: ضيافة.

- صدقت أنا رجل من قومك من آل الحارث بن حكيم، ثم صاح:
- يا قسطا فخرجت إليه نصرانية عليها ثياب حبر[١] وزنانير ما رأيت قبلها مثلها ولا بعدها أحسن منها. فقال:
- هذه قسطا وتلك أروى وأنا الذي أقول:

تبدلت قسطا بعد أروى وحبها

كذاك لعمري الحب يذهب بالحب

❀ ❀ ❀

بين الضرائر

كان لإعرابي امرأتان فولدت إحداهما جارية والأخرى غلاماً فرقصته يوماً وقالت - معايرة - ضرتها:

الحمد لله العالي

أنقذني العام من الجوالي[٢]

من كل شوهاء[٣] كشن[٤] بال

لا تدفع الضيم عن العيال

فسمعتها ضرتها فأقبلت ترقص ابنتها وتقول:

وما علي أن تكون جارية

تغسل رأسي وتكون الفالية[٥]

---

(١) ثياب حبر: ثياب جميلة مزركشة.
(٢) الجوالي ربما تكون بمعنى النساء اللواتي يجلين العرس أي الماشطات.
(٣) الشوهاء: المشوهة قبيحة الوجه.
(٤) بنت قبيحة هي كقربة الماء البالية التي لا نفع لها إلا الحمل والولادة.
(٥) الفالية: أي تفلي لي رأسي من القمل.

وترفع الساقط من خماريه[١]

حتى إذا بلغت ثمانية

أزرتها بنفيسة يمانية[٢]

أنكحتها مروان أو معاوية

أصهار صدق ومهور غالية

فسمعها مروان فتزوجها على مائة ألف مثقال، وقال: إن أمها جديرة أن لا يكذب ظنها ولا يخان عهدها. فقال معاوية:

- لولا مروان سبقنا إليها لأضعفنا لها المهر ولكن لا تحرم الصلة، فبعث إليها بمائة ألف درهم.

❀ ❀ ❀

البكر والثيب

تزوج رجل فتاة بكراً على زوجته فلامته الأولى فقال البيتين:

قالت نكحت صغيرة فأجبتها

أشهى المطي إلي ما لم يركب

كم بين حبة لؤلؤ مثقوبة

ثقباً وحبة لؤلؤ لم تثقب

فأجابته زوجته على الفور:

---

(١) الخمار: غطاء الرأس.

(٢) نفيسة يمانية إي ألبستها لباساً نفيساً من صنع أهل اليمن.

إن المطيـــة لا يلذ ركـــوبهـــا

حـــتى تذلل بالركـــوب وتركب

والحـب لـيـس بـنـافـع أربـابـه

مـا لم يؤلف في النظام ويثـقب

❀ ❀ ❀

وصايا خالد بن صفوان

ومن وصايا خالد بن صفوان كما جاء في كتاب - المحاسن والأضداد للجاحظ صفحة ٢٢١، ٢٢٢ قال:

قال خالد بن صفوان لدلال:

- اطلب لي امرأة بكراً أو ثيباً كبكر، حصاناً[١] عند جارها، ماجنة عند زوجها، قد أدبها الغنى وذللها الفقر، لا ضرعة[٢] صغيرة ولا عجوزاً كبيرة، قد عاشت في نعمة وأدركتها حاجة، لها عقل وافر وخلق طاهر، وجمال ظاهر، صلتة الجبين سهلة العرنين سوداء المقلتين، خدلجة الساقين، لفاء الفخذين[٣] نبيلة المقعد، كريمة المحتد، رخيمة المنطق، لم يداخلها صلف[٤] ولم

---

(١) الحصان: بفتح الحاء والصاد هي المرأة العفيفة.

(٢) الضرع: الضعيف صلت بسكون اللام يقال أصلت السيف أي جرده من غمده وجبين صلت أي واضح مستو بارز.

(٣) والعرنين الأنف. خدلجة الساقين: أي ممتلئة الساقين، ولفاء الفخذين أي ضخمة الفخذين.

(٤) الصلف: العجب والتكبر والادعاء بما ليس فيه، والكلف السواد مع الصفرة.

يشن وجهها كلف، ريحها أرج، ووجها بهج، لينة الأطراف، ثقيلة الأرداف، لونها كالرق[١] وثديها كالحق، أعلاها عسيب، وأسفلها كثيب. لها بطن مخطف، وخصر مرهف، وجيد أتلع[٢]، ولب مشبع، تتثنى تثني الخيزران، وتميل ميل السكران، حسنة المآق في حسن البراق لا الطول أزرى بها ولا القصر.

قال الدلال:

- استفتح أبواب الجنان فإنك سوف تراها.

وقال خالد بن صفوان أيضاً:

- لا تتزوج واحدة فتحيض إذا حاضت، وتنفس إذا نفست، وتعود إذا عادت، وتمرض إذا مرضت، ولا تتزوج اثنتين فتقع فيما بين الجمرتين، ولا تتزوج ثلاثاً فتقع بين أثافي[٣] ولا تتزوج أربعاً فيحقرنك ويهرمنك ويفلسنك.

فقال له رجل: حرمت ما أحل الله، فقال: طمران وكوزان ورغيفان وعبادة الرحمن.

❀ ❀ ❀

الشيب في الرأس

وفي المرجع السابق نفسه وفي صفحة ٢٣١، قال العتبي واسمه محمد أبو النصر وهو مؤرخ حجة عاش في خراسان قال:

---

(١) الرق: الماء الرقيق في الوادي، وبطن مخطف أي ضامر قليل اللحم.

(٢) أتلع العنق: طويلة واللب جمع لباب، وهو العقل الخالص من الشوائب، والمآق مقدم العين وقيل مؤخرها، والبراق من برق أي لمع.

(٣) الأثافي حجارة الموقد، والطمر الثوب العتيق البالي.

كنت كثير التزوج، فمررت بامرأة أعجبتني فأرسلت لها ألك زوج؟ قالت:

- لا، فصرت إليها فوصفت لها نفسي وعرفتها موضعي فقالت:

- حسبك قد عرفناك. فقلت لها:

- زوجيني نفسك، فقالت:

نعم، ولكن هاهنا شيء تحتمله، قلت:

- وما هو؟ فقالت:

- بياض في مفرق رأسي، قال:

- فانصرفت. فصاحت بي: ارجع، فرجعت إليها فأسفرت عن رأسها فنظرت إلى وجه حسن وشعر أسود فقالت:

- إنا كرهنا منك عافاك الله ما كرهت منا، وأنشدت:

أرى شيب الرجال من الغواني

بوضع شيبهن من الرجال

❀ ❀ ❀

امرأة الخليفة

جاء في كتاب المحاسن والأضداد للجاحظ أن علي بن محمد ابن سليمان قال: أبي يقول: كان المنصور شرط لأم موسى الحميرية ألا يتزوج عليها ولا يتسرى، وكتبت عليه بذلك كتاباً أكدت وأشهدت عليه بذلك، فبقي مدة عشر سنين في سلطانه يكتب إلى الفقيه بعد الفقيه من أهل الحجاز وأهل العراق وجهد

أن يفتيه واحد منهم في التزويج وابتياع السراري؛ فكانت أم موسى إذا علمت مكانه بادرته وأرسلت إليه بمال، فإذا عرض عليه أبو جعفر الكتب لم يفتيه حتى ماتت بعد عشر سنين من سلطانه ببغداد، فأتته وفاتها وهو بحلوان فأهديت إليه مائة بكر.

❀ ❀ ❀

اليتم والعقوق

قيل لإعرابي: لاقى العقوق من أبنائة بعد أن قرر الزواج من أخرى وقد تقدم به العمر:

- لماذا فعلت ذلك؟ وماذا تفعل إذا جاءك مولود؟

قال:

- أبادره باليتم قبل أن يبادرني بالعقوق.

❀ ❀ ❀

معاريض الكلام

من كتاب جمع الجواهر للحصري القيرواني.

ابتاع الصحابي الجليل عبد الله بن رواحة رضي الله عنه جارية وكتم ذلك عن امرأته وبلغها ذلك فقالت له:

- بلغني أنك ابتعت جارية وأنك الساعة عندها، قال:

- لم أكن عندها، قالت:

- فاقرأ من القرآن (الجنب لا يحق له قرآة القرآن) فقال:

شـــهـــدت بأن وعـــد الله حق

وأن النار مـــثـــوى الكافـــرينا

وأن العـــــرش فـــــوق الماء طاف

وفـــوق العـــرش رب العـــالمينا

وتحـــــمله مـــــلائكة شـــــداد

مـــــلائكة الإله مـــــقـــــربينا

فقالت:

- أما وقد قرأت القرآن، فقد علمت أنهم كذبوا عليك.

وافتقدته ليلة فلم تجده على فراشها فلم تزل تطلبه حتى قدرت عليه في ناحية الدار، فقالت: الآن صدَّقت ما بلغني فجحدها فقالت:

- اقرأ آيات من القرآن فقال:

وفـينا رسـول الله يتلو كـتـابه

كما انشق معروف من الله ساطع

أرانا الهدى بعد العمى فقلوبنا

به مـــوقنات أن مـــا قـــال واقع

يبيت يجافي جنبه عن فراشه

إذا أثقلت بالمشـــركين المضـاجع

وأعلم علمـــاً ليس بالظن أنني

إلى الله محشور هناك فراجع

فقالت:

- آمنت بالله وكذبت ظني، فأخبر ابن رواحة رضي الله عنه بذلك النبي ﷺ فضحك وقال:

- هذا لعمري من معاريض الكلام، يغفر الله لك يابن رواحة، خياركم خيركم لنسائكم.

❀ ❀ ❀

مزاح الضرائر

من كتاب (تعدد الزوجات ومسلسل الحاج متولي/ للشيخ عادل أحمد عبد الموجود صفحة ١٠٣):

روى النسائي عن عائشة رضي الله عنها قالت:

- زارتنا سودة رضي الله عنها فجلس رسول الله ﷺ بيني وبينها وإحدى رجليه في حجري والأخرى في حجرها فعملت لها حريرة، فقلت:

- كلي فأبت. فقلت:

- لتأكلن أو لألطخن وجهك، فأبت فأخذت من القصعة شيئا فلطخت وجهها، فضحك رسول الله ﷺ؛ فرفع رسول الله ﷺ رجله من حجرها لتستقيد مني وقال لها:

- لطخي وجهها، فأخذت من الصحفة شيئاً فلطخت به وجهي ورسول الله ﷺ يضحك.

❀ ❀ ❀

قصة مثل

جاء في كتاب (مجمع الأمثال) أن رجلاً من جديس تزوج امرأة قصيرة فقاسى منها الشدائد، وكان يعبر عنها بالتصغير، فتزوج عليها امرأة طويلة فقاسى منها ضعف ما قاسى من الأولى الصغيرة فطلقهما وقال:

- بعد اللتيا واللتي لا أتزوج ابداً.

❀ ❀ ❀

قبلت رأس القاضي

من كتاب غرائب وعجائب الحيل لمنصور بن ناصر العواجي.

حدَّث القاضي أبو الحسين بن عتبة: كانت لي ابنة عم موسرة وتزوجتها فلم أثرها لشيء من الجمال ولكني كنت أستعين بمالها وأتزوج عليها سراً، فإذا فطنت بذلك هجرتني وطرحتني وضيقت علي إلى أن أطلق من تزوجتها، ثم تعود إلي، فطال ذلك علي، ثم تزوجت صبية حسناء موافقة مساعدة، على اختياري، فمكثت معي مدة يسيرة، وسعي بها إلى ابنة عمي فأخذت في المناكدة والتضييق علي فلم يسهل علي فراق تلك الصبية فقلت لها:

- استعيري من كل جارة قطعة من أفخر ثيابها حتى يتكامل لك خلعة تامة الجمال، وتبخري بالعنبر واذهبي إلى ابنة عمي

فابكي بين يديها وأكثري من الدعاء لها والتضرع إليها إلى أن تضجريها فإذا سألتك عن حالك تقولي لها:

- إن ابن عمي قد تزوجني وفي كل وقت يتزوج علي واحدة وينفق مالي عليها وأريد أن تسألي القاضي معونتي وإنصافي منه فإني أقدمه إليه فإنها سترفعك إلي ففعلت، فلما دخلت عليها واتصل بكاؤها رحمتها وقالت لها فالقاضي شر من زوجك وهكذا يفعل بي، وقامت فدخلت علي وأنا في مجلس لي وهي غضبى ويد الصبية في يدها فقالت:

- هذه المشؤومة حالها مثل حالي فاسمع مقالها واعتمد إنصافها فقلت:

- ادخلا فدخلتا جميعاً فقلت لها: ما شأنك؟ قالت فذكرت ما وافقها عليه فقلت لها:

- هل اعترف ابن عمك بأنه قد تزوج عليك؟ فقالت:

- لا والله، وكيف يعترف بما يعلم أني لا أقره عليه، قلت: فشاهدت أنت هذه المرأة؟ وقفت على مكانها وصورتها؟ فقالت:

- لا والله. فقلت:

- يا هذه اتقي الله ولا تقبلي شيئاً سمعت، فإن الحساد كثير والطلاب لإفساد النساء كثير، والحيل والتكذيب، فهذه زوجتي قد ذكر لها أني تزوجت عليها، وكل زوجة لي وراء هذا الباب طالق ثلاثاً، فقامت ابنة عمي فقبلت رأسي وقالت:

- قد علمت أنه مكذوب عليك أيها القاضي، ولم يلزمني حنث لاجتماعهما بحضرتي.

ملاحظة: سبق أن وردت هذه القصة برواية أخرى في الفصل الأول.

❀ ❀ ❀

متاع قليل من حبيب مفارق

من كتاب (نوادر الحكماء وطرائف الظرفاء في التراث الإسلامي/ أحمد عيسى عاشور).

كان الحسن بن علي رضي الله عنهما مطلاقاً ومنكاحاً، فوجه ذات يوم بعض أصحابه لطلاق امرأتين من نسائه، وأمره أن يدفع إلى كل واحدة منهما عشرة آلاف درهم، فلما رجع إليه قال:

- أما إحداهما فنكست رأسها، وأما الأخرى فبكت وانتحبت وسمعها تقول: متاع قليل من حبيب مفارق، فأطرق الحسن وترحم لها وقال:

- لو راجعت امرأة بعد فراقها لراجعتها، وكان أبوه رضي الله عنه يضجر من كثرة تطليقه، حتى قال ذات يوم على المنبر:

- إن حسناً مطلاق فلا تزوجوه، فقام رجل من همدان فقال:

- والله يا أمير المؤمنين لننكحنه ما شاء، فإن أحب أمسك وإن شاء ترك، فسر ذلك علياً وقال:

ولو كنت بواباً على باب جنة

لقلت لهمدان ادخلوا بسلام

❀ ❀ ❀

الاستشارة قبل الزواج

من كتاب (تحفة العروس لمحمود مهدي الاستانبولي) أن رجلاً حلف ألا يتزوج حتى يستشير مائة نفس لما قاسى من بلاء النساء (زوجات سابقات) فاستشار تسعة وتسعين رجلاً وبقي واحد. فخرج ليسأل من لقيه، فرأى رجلاً مجنوناً قد اتخذ قلادة من عظم، وسوَّد وجهه وركب قصبة كالفرس، بزعمه، فسلم عليه وقال له:

- لي مسألة، فقال له: سل عما يعنيك وإياك وما لا يعنيك.

قال: فقلت له:

- إنني رجل لقيت من النساء بلاء وآليت على نفسي أن لا أتزوج حتى أسأل مائة رجل، وإنك تمام المائة فماذا تقول؟

فقال:

- اعلم أن النساء ثلاثة: واحدة لك، وواحدة عليك، وواحدة لا لك ولا عليك، فأما التي لك: فشابة ظريفة لم تمسها الرجال، إن رأت خيراً حمدت، وإن رأت شراً قالت: كل الرجال كذا. وأما التي عليك فامرأة لها ولد من غيرك فهي تسلخ الرجل وتجمع لولدها، وأما التي لا لك ولا عليك: فامرأة قد تزوجت

بغيرك قبلك، فإن رأت خيراً قالت:

- هذا ما نحب، وإن رأت شراً حنت إلى زوجها الأول.

فقلت:

- أنشدك الله ما الذي صيَّر من أمرك ما أرى؟

قال لي:

- أما شرطت عليك ألا تسأل عما لا يعنيك؟ فأقسمت عليه أن يخبرني، فقال:

- إني طلبت للقضاء فاخترت ما ترى على توليه، ثم انصرف وتركني.

❀ ❀ ❀

أولم ولو بشاة / من إيثار الصحابة

من كتاب (قبسات من حياة الرسول، جمع وترتيب الشيخ/أحمد محمد عساف).

قدم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه من مكة إلى المدينة مهاجراً تاركاً ماله فيها، فلما وصل إلى المدينة دخل على رسول الله ﷺ فسأله رسول الله:

- يا عبد الرحمن لم تركت مالك ومتاعك وأتيتنا؟

قال: تركت مالي ومتاعي وأتيت مهاجراً حباً في الله ورسوله.

فآخاه مع رجل من الأنصار، ولما دعاه الأنصاري رضي الله عنه إلى بيته قال له: يا أخي يا عبد الرحمن، إن رسول الله ﷺ قد آخى بيني وبينك، لي حانوتان حانوت لي وحانوت لك، ولي قطعة أرض سأقسمها بيني وبينك، ولي زوجتان سأحضرهما أمامك فأيتهما أعجبتك فإني سأطلقها وبعد إيفاء عدتها سأزوجك إياها.

فأجابه الصحابي الجليل رضي الله عنه:

- بارك الله لك في مالك وعيالك وزوجك، إنني ما أتيت مهاجراً حباً في المال والزوج، وإنما أتيت مهاجراً حباً في الله ورسوله، ولكن أقرضني بضع دريهمات.

فأقرضه الأنصاري دريهمات فأخذها واتجر باللبن، وما هي إلا أيام حتى ظهرت عليه بشاشة العرس - وهي عبارة عن ثوب أبيض مخضب بالزعفران - وبينما هو سائر في السوق رآه رسول الله ﷺ فقال له:

يا عبد الرحمن، تزوجت؟

قال: نعم يا رسول الله.

قال له الرسول: بمن؟.

قال: بامرأة من الأنصار

قال النبي: وكم أصدقتها؟

قال: بوزن نواة من ذهب يا رسول الله.

فقال له الرسول: «إذاً أولم ولو بشاة».

❀ ❀ ❀

يطيعهن وهن في عصيانه

قال أحد الملوك وكان لديه ثلاث نسوة:

ملك الثلاث الآنسات عناني

وحللن من قلبي بكل مكاني

مالي تطاوعني البرية كلها

وأطيعهن وهن في عصياني

ما ذاك إلا حكم سلطان الهوى

وبه غلبن أعز من سلطان

❀ ❀ ❀

طلقت ثلاثاً

من كتاب الأذكياء لأبي الفرج بن الجوزي قال: عن عاصم الأحول قال: حدثنا سمير أن رجلاً خطب امرأة وتحته أخرى فقالوا:

- لا نزوجك حتى تطلق، قال:

- اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فزوجوه، وأقام على امرأته وادعى القوم الطلاق فقال لهم:

- كيف قلت؟ قالوا قلنا: لا نزوجك حتى تطلق ثلاثاً، فقلت اشهدوا أني قد طلقت ثلاثاً، فقال: أما تعلمون أنه كان تحتي فلانة بنت فلان فطلقتها؟ قالوا: بلى، قال: فقد طلقت ثلاثاً، قالوا: ما هذا أردنا، فلما وفد شقيق بن ثور إلى عثمان وقدم علينا شقيق أخبر أنه سأل عثمان عن ذلك فجعلها نية.

❀ ❀ ❀

خاتمة

لما كان موضوع الكتاب جله عن النساء وأثناء جمع المادة قرأت القطعة التالية في وصف امرأة ووصية أمها لها قبل زفافها إلى بعلها، وجدير بالقارئ العزيز مشاركتي في الاطلاع على وصف المرأة من هامتها إلى أخمص قدميها كما ورد في القطعة التالية التي جعلتها خاتمة للكتاب. ويليها صفات المرأة العربية وأوصافها ومعاني تلك الأوصاف.

❀ ❀ ❀

وصف الخنساء ابنة عوف

حكى الأصمعي قال:

لمّا بلغ الحارث بن عمرو بن حجر ملك كندة، جمال الخنساء ابنة عوف، وعقلها، وأدبها، دعا امرأة يقال لها أم عصام، وكانت ذات عقل ومعرفة، وأمرها أن تذهب لتعرفها إن كانت كما سمع أو دون ذلك، فذهبت إلى أم الخنساء واسمها أمامة وأعلمتها ما قدمت بسببه، فأرسلتها إلى مضرب[1] ابنتها، وكانت في ناحية عنها، فلمَّا رأتها وسمعت كلامها خرجت من عندها وهي تقول: ترك الخداع من كشف القناع.

فلمّا رآها الحارث قال: ما وراءكِ يا أم عصام؟

(١) المضرب: الخيمة الكبيرة.

قالت: أيها الملك، صرح المخض عن الزبد، رأيت جبهة كالمرآة المصقولة، يزينها شعر حالك كأذناب الخيل المضفورة[١]، إن أرسلَته خلته السلاسل، وإن مشطته قلت عناقيد حلاها الوابل[٢]، وحاجبين كأنما خطّا بقلم أو سودا بحمم، تقوسا على مثل عين الظبية العبهرة[٣]، التي لم يذعرها قابض ولا راعتها قسورة[٤]، بينهما أنف كحد السيف المصقول، لم يعبها قصر ولا طول، حفّت به وجنتان كالأرجوان في بياض كالجمان[٥]، شق فيه فم كالخاتم، طيب المبتسم، لذيذ الملتثم، تُقلِّب فيه لساناً يبين عن عقل وافر، وجواب حاضر، تلتقي دونه شفتان حمراوان يجلبان فيه ريقاً كالشهد، ركب ذلك في رقبة بيضاء كالفضّة، على صدرٍ كتمثال دمية، يتصل به ذراعان وعضدان، ليس فيهما عظم يمس ولا عرق يحس، ركب فيهما كفّان رقيق قصبهما، ليّن عصبهما، تعقد إن شئت منهما الأنامل، نبت في ذلك الصدر ثديان كالرّمّانتين يخرقان عليهما ثيابها، ويمنعانها أن تتقلّد سخابها، تحت ذلك بطن طوي كطي القياطين[٦] المدمجة، كُسي عكنا[٧] كالقراطيس

---

(١) المضفورة: المجدولة.
(٢) الوابل: المطر الشديد.
(٣) العبهرة: هي التي جمعت الحسن والجسم والخلق.
(٤) القسورة: تأنيث لصفة الأسد القسور.
(٥) الجمان: اللؤلؤ.
(٦) القياطين: حبال تفتل من خيوط الحرير ونحوه.
(٧) العكن: ما انطوى وتثنى من لحم البطن.

المدرجة، تحاط بتلك العكن صرة كالمدهن المجلو، خلف ذلك ظهر فيه كالجدول ينتهي إلى خصر، لولا رحمة الله لانتثر، لها كفل[١] يقعدها إذا نهضت، كأنه دعص[٢] الرمل، لبده[٣] سقوط الطل[٤]، تحته فخذان كأنما حشيا ريش النعام، ركبا على ساقين عبلين[٥]، يُرى من صفائهما مخ عظامها، يحمل ذلك كلّه قدمان لطيفان كحرف اللسان، فتبارك الله مع صغرهما، كيف يطيق حمل ما فوقهما.

فأرسل الملك إلى أبيها فخطبها فزوجه، وبعث صداقها فزوجت به، فلمّا أرادوا أن يحملوها إلى زوجها، أقبلت عليها أمها توصيها، فكان مما أوصتها به أن قالت لها:

«أي بنية.. إن الوصي لو تُركت لفضل في أدب، لتركت ذلك. ولكنها تذكرة للعاقل ومعونة للجاهل. ولو أن امرأة استغنت عن الزوج لغنى أبويها وشدة حاجتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه، ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال.

أي بنية.. إنكِ فارقت الحواء[٦] الذي منه خرجت، وخلفتِ العش الذي فيه درجتِ إلى وكرٍ لم تعرفيه وقرينٍ لم تألفيه،

---

(١) الكفل: العجز.
(٢) الدعص: كثيب الرمل المتجمع.
(٣) اللبد: المتلبد من الشعر ونحوه.
(٤) الطل: الندى.
(٥) عَبِل وعَبُل: ضخم.
(٦) الحواء: السكن.

فأصبح بملكه إياكِ رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لكِ عبداً وشيكاً.

أي بنية.. احفظي له عشر خصال يكن لكِ ذخراً وذكرا، فأما الأولى والثانية الصحبة له بالقناعة والمعاشرة بحسن السمع والطاعة، وأما الثالثة والرابعة التعهد لموقع عينيه والتفقد لموضع أنفه، فلا تقع عيناه منك على قبيح ولا يشم منك إلا أطيب الريح، والكحل أحسن الحسن الموجود، والماء أطيب الطيب المفقود، وأما الخامسة والسادسة فالتفقد لوقت طعامه والهدوء عند منامه فإن حرارة الجوع ملهبة وتنغيص النوم مغضبة، وأما السابعة والثامنة فالاحتفاظ بماله والإرعاء على حشمه وعياله؛ لأن الاحتفاظ بالمال من حسن الخلال، ومراعاة الحشم والعيال من الإعظام والإجلال، وأما التاسعة والعاشرة فلا تفشي له سراً ولا تعصِ له أمراً؛ فإنكِ إن أفشيتِ سره لم تأمني غدره، وإن عصيت أمره أوغرت صدره. ثم اتقي - مع ذلك - الفرح بين يديه إذا كان ترحاً، والاكتئاب عنده إذا كان فرحاً؛ فإن الخصلة الأولى من التقصير والثانية من التكدير. وكوني أشد ما تكونين له إعظاماً يكن أشد ما يكون لك إكراماً، وأكثر ما تكونين له موافقة يكن أطول ما يكون لكِ مرافقة، واعلمي أنكِ لا تصلين إلى ما تحبّين حتى تؤثري رضاه على رضاك، وهواه على هواكِ فيما حببت وكرهتِ، والله يخير لكِ.

فقالت: والله يا أماه، ما أمرتِ بخيرٍ إلا وأنا ممثلته بين عيني، ولا نهيت عن شرٍ إلا وأنا مطيعة لما أشرت به عليّ.

فحُملت إليه فحسن موقعها منه، وعظمت عنده، وولدت له السبعة الذين ملكوا اليمن بعده، وهم: مسلمة، وحُجر، وشرحبيل، ومعد يكرب، وعمرو، والفتاك، وجلهمة.

❀ ❀ ❀

صفات المرأة العربية وأوصافها ومعاني تلك الأوصاف

ريحلة: إذا كانت المرأة ضخمة وعلى اعتدال.

الوضيئة: إذا كانت بها مسحة جمال.

عيطبول: إذا كانت طويلة العنق في اعتدال وحسن.

زهراء: المرأة التي يضرب بياضها إلى صفرة كلون القمر والبدر.

هجان: إذا كانت حسنة البياض.

زجاء: دقيقة الحاجبين الممتدتهما حتى كأنهما خطا بقلم.

الدعجاء: التي تكون عيناها شديدتي السواد مع سعة المقلة.

الشنباء: رقيقة الأسنان المستوية الحسنة.

خود: إذا كانت المرأة شابة حسنة الخلق.

مملودة: إذا كانت دقيقة المحاسن.

خرعبـة: إذا كانت حسنة القد لينة العصب.

ممشوقة: إذا كانت لطيفة الخصر مع امتداد القامة.

رقراقــة: كأنما الماء يجري في وجهها.

بضـــة: إذا كانت رقيقة الجلد ناعمة البشرة.

نضـــرة: إذا عرفت في وجهها نضرة النعيم.

بهنانــة: إذا كانت طيّبة الريح.

عرهــرة: إذا كانت عظيمة الخلق مع الجمال.

عبقــرة: إذا كانت ناعمة جميلة.

رشـــوق: إذا كانت طيّبة الفم.

أنـــوف: إذا كانت طيّبة ريح اليد.

فرعـــاء: إذا كانت ناعمة الشعر.

رخيمــة: إذا كانت منخفضة الصوت.

عـــروب: إذا كانت محبة لزوجها متحببة إليه.

ضـــاع: إذا كانت عاملة الكفين.

اللونــة: اللينة الناعمة.

المقصد: التي لا يراها أحد إلا أعجبته.

الرجراجة: الرقيقة الجلد.

الخريدة: هي الحبيبة.

الطفلة: الناعمة الملمس.

الممسودة: الممشوقة القد.

البراقـــة: البيضاء الثغر.

الباهـــرة: هي الفائقة على غيرها في الجمال.

العيطموس: الفطنة.. الحسناء.

المجدولـــة: الممشوقة.

الســرعوقة: الناعمة الطويلة.

الهنـانـــة: الضاحكة المتهللة.

البهكنـــة: الجميلة الوجه حسنة المعرى.

الممـكـورة: الدقيقة المحاسن.

الخزعيـــة: الحسنة القد لينة القصب.

الهيفـــاء: وقباء وخمصانة: اللطيفة البطن.

الهضـــيم: اللطيفة الكشحين (الكشح: ما بين السرة ووسط الظهر (الخاصرة) أي ضامرة.

الوركاء والهركولة: العظيمة الوركين.

الـــرداح: العظيمة العجيزة.

الخديجة: السمينة الممتلئة الذراعين والساقين التي ترتج من سمنتها.

البرهرهة: كأنها ترعد من الرطوبة والغضاضة.

اللبضـــة: الرقيقة الجلد الناعمة البشرة.

الفنـــق: التي عُرف في وجهها نظرة النعيم.

الأناة ووهنانة: التي بها فتور عند القيام لسمنها.

العبقـــرة: الناعمة، الجميلة.

الخبرنجة: الجارية الحسنة الخَلق في استواء.

المُسيطرة: الجسيمة.

العجـــزاء: العظيمة العجيزة.

الرُّعبوبـــة: الرطبة.

الرتكـــــة: الكثيرة اللحم، الطفلة الناعمة.

الـــــرُّود: المتثنية اللينة.

الأمـلُـــود: الناعمة، ومثلها الخرع.

البارقـــــة: البيضاء الثغر.

الدهثمـــة: السهلة.

العاتـــــق: التي لم تتزوج.

الســـهلبة: الخفيفة اللحم.

السُّـرعُوفة: الناعمة الطويلة.

الفيصاء والعفّاء: الطويلة العنق.

الغيلـــــم: الحسناء.

الخليـــق: الحسنة الخلق.

الفـــــرّاء: هي أحسن الناس حيث نظر ناظر، أي هي أحسن الناس وجهاً.

الشـــرهاء: الحديدة النفس - امرأة حسنة المعارف - ومعارفها: وجهها.

المتحرية: الحسنة المشية في خيلاء.

الشموس: التي لا تطمع الرجل في نفسها وهي الذّعور.

الظمـــاء: إذا كانت سمراء، وشفة ضمياء كذلك.

الغيداء والغادة: المتثنية من اللين والنعمة.

الرشـوف: الطيّبة الفم.

الأنـــوف: طيبة ريح الأنف.

الرصوف: الطيبة الخَلوَة.

الشـموع: المرأة اللعوب الضحوك.

الفرعـاء: التّامة الشعر.

الدرمـاء: التي لم يكن لمرفقها حجم من سمنها.

اللفّـــاء: إذا ضاق ملتقى فخذيها لكثرة لحمها.

الخفرة الخريدة: الحيية.

الرخيمة: المنخفضة الصوت.

الحصان: العفيفة.

المحصنة: إذا أحصنها زوجها.

البـروك: التي تتزوج وابنها رجل.

المثفـــاة: التي كان لزوجها امرأتان وهي ثالثتهما: شبهت بأثافي القدر.

المردودة: المطلقة.

الصلفة: التي لا تحظى عند أزواجها.

الأيم والعزبة والأرملة والفارغة: التي بلا زوج.

العوان: الثيّب.

البَـرزة: الجليلة تظهر للناس ويجلس إليها القوم.

المشبلة: التي قامت على ولدها بعد موت زوجها ولم تتزوج.

❋ ❋ ❋

نعوت المرأة المذمومة خَلقاً وخُلقاً

القيعلة: نهاية في السمن والعظم.

العفضاج والمفضاضة: ضخمة البطن مسترخية اللحم.

الوطباء: ضخمة الثديين.

الرُطبة: طويلة الثديين مسترخيتهما.

الزلاّء ورسحاء: لم تكن لها عجيزة.

الجَـدّاء: صغيرة الثديين.

القضرة: قليلة اللحم.

الجاذب: غليظة الخلق.

الكرواء: دقيقة الساقين.

المصواء: على فخذيها لحم.

المدشاء: لم يكن على ذراعيها لحم.

الرتقاء والعفلاء: لا يُستطاع جماعها.

الصهصلق: شديدة الصوت.

السلفعة: بذيّة، فحّاشة، وقحة.

القرثع: القليلة الحياء وقد قيل هي البلهاء.

الجَلِعة: تُلقي عنها قناع الحياء.

المهزاق: شديدة الضحك.

الفاركة: المبغضة لزوجها.